تفريغ محاضرة

قبل أن تعص تذكر

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

١٤ / ٣ / ١٤٤١ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين محاضرات د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جمع المحتوى وتنظيمه ونشره ليسيلَ عذباً إلى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الالكتروني:

info@rawaa.org

بِسْم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

أما بعد:

في بداية درسنا اليوم، لنراجع بعض المسائل الحسابية، واحد زائد واحد يساوي اثنان، معادلة منطقية نُدركها جميعًا، **ولكن** مع تطور العلم تم اكتشاف أن هناك حالات يكون فيها واحد زائد واحد لا يساوي اثنان، وهكذا تمامًا في الإسلام، الذي يفعل الخير ينتظر من الله كرامة، فمن ينصر المظلوم، ويتصدق، ويصل رحمه، ويعمل غيرها من الأعمال الحسنة ننتظر له الجزاء الحسن، وأما من يرتشي ويكذب ويظلم ويفعل السيئات فننتظر له عقوبة من الله عز وجل، وهذا هو **الأمر المنطقي**.

ولكن كما ذكرنا في البداية، هناك **استثناءات**، فأحيانًا يعمل الإنسان الكثير من الأعمال الصالحة ولكنه لا يلاقي الجزاء الذي يتوقعه، أليس كذلك؟ فقد يأتي الإنسان بجبال من الحسنات فيجعلها الله هباءً منثورا! هذا لأن عمله لم يكن خالصًا لله تعالى، فقد يكون عمله رياءً وسمعة، أو يكون عجبًا في نفسه لكثرة أعماله الصالحة يُفسد نيته ويُذهب عمله الصالح كله.

وكذلك لمن يفعل الشر، فقد تطرأ استثناءات تُدخله الجنة، قد يتوب ويستغفر الله لذنوبه، أو يكون له عمل بينه وبين الله عز وجل خبيئة سر، حسنة عظيمة تزن سيئاته كلها، قال تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**)[سورة النساء ٤٨] .

قاعدة ..

لذا فالأصل أن من يعمل خيرًا يلقى خيرًا، ومن يعمل شرًا يلقى شرًا، إلا في حالات شاذة استثنائية.

فعلى الإنسان ألا ينغمس في المعاصي على أمل رحمة الله عز وجل، فهو بهذا كمن يجمع صفر زائد صفر ويتوقع أن تكون النتيجة اثنان، صحيح أنه لا شيء مستحيل على الله عز وجل ولكن هل تستطيع أن تضمن ذلك؟ فلا تُسرف على نفسك بالمعصية وترضى أن تبقى دائمة في حياتك دون أن تحاول أن تتوب وتتركها، ابدأ بتقليلها فَلَو كانت يومية اجعلها يوم ويوم، ثم أسبوعيًا، فشهريًا، وبعدها تصبح سنوية، حتى تختفي من حياتك تمامًا. يجب على الإنسان ألا يعتاد المعصية، ألا تكون لديه معاصي في جدوله اليومي ويعتبرها جزء من شخصيته دون أن تكون لديه رغبة حقيقية في تركها والتحسين من حياته.

فساد الأرض حصاد أعمال الناس ..

يقول الله عز وجل: **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** [سورة الروم(٤١)] . هذا يعني **أن ما يحدث حولنا من مشاكل كونية ما هو إلا "بعض" من عواقب ظهور الفساد**، فتلك الحيتان التي تموت في البحر، والاحتباس الحراري وغيرها من المشاكل ما هي إلا حصاد أعمالنا، وإياك أن تعتقد للحظة أن ذنبك عائدٌ عليك فقط، فهو يؤثر على العالم بأكمله!

ولذلك أهلك الله عز وجل حضارات عريقة جدًا امتدت إلى مئات السنين، ونحن هنا لا نعني قوم نوح ولوط وعاد فقط، بل نعني الإغريق والرومان واليونان أيضًا،

أهلكهم الله ما بين ليلةٍ وضحاها، فأهون ما يكون على الله عز وجل أن يقلب أمة بعد أن كانت قوية إلى أن تكون في أسفل سافلين، وهذا **بسبب الفساد** الذي حصل من ذنوب ومعاصي ارتفعت إلى الله عز وجل من هذا المكان، وهكذا زالت حضارات بأكملها من على وجه الأرض.

مثلًا قوم نوح عليه السلام، أغرق الله عز وجل كوكب الأرض كله بالمياه التي خرجت من الأرض والتي أُمطِرَت من السماء واستمر الطوفان إلى أن تغيرت كل الكرة الأرضية وكل القارات السبع، وتشققت بالوضع المعروف عليه الآن، وكل هذا **كرامة** لنوح - عليه السلام - بعدما يِئِسَ منهم وعلم أنّ لا أحد منهم سيؤمن بعد أن قضى سنوات في الدعوة، وليست سنة أو عشر أو عشرون سنة، **بل 950 سنة من الدعوة**، ولهذا أُزيلت حضارتهم عن بَكرةِ أبيها.

وكذلك الأقوام الأخرى كقوم عاد وثمود وصالح، فنحن نرى عجائب بنيانهم وبيوتهم في وسط الجبال والأحجار ونتعجب كيف لهم أن يبنوها دون أجهزة أو متفجرات تعينهم على تفجير الجبل ونحت الحجر، أي أيدٍ عظيمة استطاعت أن تقوم بهذا العمل الجبار! فيكون أمر الله عز وجل بأن يُهلِكهُم، وبماذا؟ بصوت! بصيحةٍ فقط، لا بطوفان أو بحجارة بل بصوتٍ اخترق تلك الأجساد القوية فأصبحت لا شيء.

ولذلك عندما فُتِحَت قُبرص - وكان أول فتح إسلامي لها - ودخلها المسلمين ورأوا حضارتها ومبانيها بكى أبو الدرداء، يقول جبير عن أبي الدرداء: **(فجلس أبو الدرداء لوحده يبكي، فقلت له: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله، إذا هم تركوا أمره بينما هم أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى)**، فأهل هذه البلد تركوا أمر الله عز وجل فقُتِلوا وأُسِروا وأصبح حالهم يُرثى له، وهكذا رأى أبو الدرداء ما وراء قضية الانتصار وهو المآل لكل من ترك أمر الله عز وجل.

يقول العلماء: **(إذا كانت الطاعة لها فقه يسمى فقه الطاعة فالمعصية لها فقه أيضًا وتسمى فقه المعصية)**، وهذا الفقه ليس تجريئًا للإنسان لكي يفعل المعصية وإنما هي قضية **أن يكبح الإنسان نفسه قبل وقوعه في المعصية**، وهنا **ستتدارس ستة عشر نقطة تحول بين الإنسان وبين المعصية**، فهي كالسلم أو العقبات التي يضعها الإنسان أمامه كي لا يقع في المعصية. ونحن لا نقول افعل الذنب، بل نقول إن في الجسم خلية سرطانية موجودة ونحن بهذه النقاط نحاول أن نوقفه كي لا ينتشر، فإن تأثرت خلية وأصبحت سرطانية يجب ألا نتركها لتُعدِي الخلايا السليمة، فَلَو كانت تزيد انتشارًا بالسكريات، اقطع عنها السكريات، وإن كانت تَقِل حين يُصبح الجسم في وضع قلوي، فاجعل جسمك في وضع قلوي، وهكذا تمامًا مع السرطان الذي يصيب روحك، فإن أوشكت على الوقوع في المعصية، فتذكر هذه النقاط:

النقطة الاولى: دافع عن نفسك وارفضها

إذا أردت أن تعصي الله عز وجل، وفي لحظة ضعف غلبك الشيطان في أمرٍ ما، **دافع عن نفسك!** لا تستسلم للشيطان وتنهزم له قبل أن تدافع عن نفسك، ولو أحسست بأن كل خلية في جسدك ترغب في هذه المعصية، **لا تستسلم** بل دافع وجاهد وارفض الانصياع للشيطان، فإن فشلت كل محاولاتك فسوِّفها، **فالتسويف** هو الخطوة الأولى، وهكذا يتلاعب بنا الشيطان حين نرغب بعمل طاعة يغرينا بتسويفها لنبدأ مع بداية الشهر مثلًا، **فحاول تأجيل المعصية ولو ليوم واحد**، وهذا التأجيل هربًا من المعصية سترى نتيجته بأن الله تعالى سيمسح على قلبك تمامًا وستفقد الرغبة في عملها، وهكذا ففي تأجيلك للمعصية كل يوم عون من الله عز وجل حتى يُنقذك منها، ويفتح لك باب خيرٍ آخر فيُشغلك بأمر من أمور الدنيا فإذا بالذنب يتلاشى، **لذا تذكر ألا تُسلِّم نفسك للمعصية، دافع وجاهد وسوِّف.**

النقطة الثانية: اترك الأثقل وافعل الأخف

المعاصي درجات، وجميعنا نعرف الفرق بين المعاصي الكبيرة والمعاصي الأصغر، فشتَّان بين من يسمع الحرام ساعة وبين من يسمعه لساعاتٍ طوال، **لذا إياك أن تنغمس في المعصية** بل افعلها وأنتَ محتشم، أي افعلها وأنت تكرهها وافعل الذنب الأخف وتجنب الأثقل.

النقطة الثالثة: تجنب المعصية المتعدية

بعض المعاصي متعدية، **يتعداكَ ذنبها فتأخذ ذنوبك وذنوب غيرك** الذين كنت السبب في عملهم للمعصية، وقد سُئِلتُ من قبل عما يحدُث للإنسان إذا تعذب في قبره حتى انتهت ذنوبه، هل يأتي يوم القيامة وهو متطهر؟ والجواب هو نعم، ولكن هناك عذابات متجددة لا تنتهي، كرسالة أرسلتها ولا زالت تنتشر وتتراكم معها سيئاتك، أو موضة ابتدأت فيها، فإن مت قبل أن تتوب منها فستظل تأتيك وأنت في قبرك فهي لا تتوقف بموتك، ولا تتعلق برحمة الله عز وجل فتقول سيرحمني الله، فكما ذكرنا سابقًا أنها شيء استثنائي من الله عز وجل، فهو سيرحم إذا أراد و سيمحو السيئات لعمل صالح إذا أراد، ولكن الأصل هو العقوبة على الذنوب، **فاجعل ذنوبك تقف عندك ولا تجعلها تنتشر وتزداد** فهذا أقرب إلى رحمة الله لك ومغفرته لذنوبك ممن يأتي يوم القيامة وأكتافه محملة بذنوب مئات الناس الذين زيّنَ لهم الذنب أو كان سببًا في عملهم له.

النقطة الرابعة: تجنب المعصية المشتركة

إذا فعلت الذنب، فاحذر من أن تفعله مع جماعة، والمعصية المشتركة هي أيضًا متعدية، ولكن فيها خروج من دائرة الستر، فبدل أن تعمل المعصية لوحدك في خفاء وعلى استحياء، أنت هكذا تجاهر بالمعصية مع جماعة دون أن ينهى أحدكم الآخر فينكسر الحياء من المعصية وتصبح نوع من المعاندة جماعية لله عز وجل.

قال تعالى: **(... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ و التَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.....)** [سورة المائدة(٢)]. وقد يعتقد الغالبية أن هذه الآية موجهة للعصابات والمجرمين، ولكنها أيضًا **موجهة لمن يجرم في حق نفسه ويرتكب المعاصي**.

النقطة الخامسة: تجنب المعاصي المتسلسلة

المعاصي المتسلسلة **هي أن تبدأ بعمل يجرّك إلى سلسلة من المعاصي**، كأن تقرر إحداهن أن تذهب في سفرة عمل لعدة أيام وهي تعلم أنها حين تذهب ستلبس لباسًا معينًا وستقابل أشخاصًا وقد تضع الزينة وتتعطر وقد تصافح الرجال كي لا تظهر بشكل مختلف عمّن حولها، وهكذا رحلة قصيرة أدت إلى عدد كبير من الذنوب، وكانت تستطيع تجنب هذه الرحلة من البداية حيث أنها تعرف أنها إذا ذهبت سوف تُذنِب! **فاحذر من الأمور التي تعرفُ جيدًا أنها ستؤدي لارتكابك ذنوبًا متسلسلة**.

النقطة السادسة: تجنب الأزمنة والأمكنة الفاضلة

حين تَهُم لعمل ذنبٍ ما، احذر من أن تقوم به وأنت في **مكانٍ فاضل كمكة أو المدينة** أو غيرهما، أو في **زمن فاضل كرمضان أو العشرة من ذي الحجة** أو الأشهر الحرم أو الإثنين والخميس حين ترفع الأعمال إلى الله عز وجل، أو الفجر أو آخر الليل وقت السحر الذي ينزل الله عز وجل فيه على الناس، فتجنب أن تعصي الله في هذه الأزمنة والأمكنة.

النقطة السابعة: لا تُطِل زمن اقتراف المعصية

إذا فعلت المعصية، فاحذر من أن تطيل زمن اقترافك لها، إذا كان الذنب يستغرق أربع دقائق ونصف فلا تجعلها ست دقائق ولا تستعد للمعصية قبل ساعتين ثم تتحدث عنها أربع ساعات وهكذا تطيل زمن الاقتراف، **ونقول اقتراف لأن الذنب جريمة تقترفها في حق نفسك**، فإن لم تستطع أن تُنقذ نفسك منها فلا تُطِلها بمقدمة ثم نهاية،

وتذكر أن الملائكة تكتب زمن عملك للمعصية، فشتان بين من يعمل المعصية لساعات ومن يعملها في ربع ساعة على استحياء واحتشام.

النقطة الثامنة: لا تفعل الذنب لمجرد التجربة

التجربة تؤدي إلى الانزلاق في الذنوب، فلا تفعل الذنب لمجرد التجربة، فقد تكون في أمان الله لم تعرف هذا الذنب من قبل وفجأة ترى البعض من حولك يقومون بهذا الذنب وأنت تعرف أنه لا يجوز فتعزم على تجربته، وهنا نعود للنقطة الثانية و الثالثة فالمجموعة تُزيّن لك المعصية فتسقط فيها، فيكون لهم ذنبهم وذنبك معهم، **فإذا كفاك الله المعصية لا توقع نفسك فيها بهدف التجربة، فالتجربة سهلة ولكن التوقف بعدها يكون صعبًا**، وانظر إلى حال المدخنين فمعظمهم بدأ لرغبة في التجربة ثم أدمن عليه وأصبح تركه صعب جدًا، ويقع تأثير هذا على عائلته وأطفاله لاحقًا، وكل هذا هو عاقبة للتجربة الأولى.

النقطة التاسعة :لا تفعل الذنب إن لم يكُن قلبك متعلقًا به

أحيانًا يقع الإنسان في معاصي وذنوب وقلبه غير متعلق بها ولا يحبها، فهو يقع فيها دون إغواء مِن الشيطان، قد يفعلها لفراغ في وقته وينسى أنها معصية، **فالثلاثة الذين لا ينظر الله عز وجل إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم هم ملك كذاب وعائلٌ مستكبر وشيخ زان**، والذي يجمع بين هؤلاء الثلاثة هو أنهم قاموا بذنبٍ ليسوا بحاجةٍ إليه، فالملك هو أكبر سلطة ولا أحد فوقه إلا الله عز وجل، ولا يخشى أحدًا فبالتالي لا حاجة إليه لأن يكذب، ولذا فإن كذب كان من الثلاثة الذين لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، والعائل المستكبر هو الفقير الذي لا يملك شيئًا

ومع ذلك يستكبر، والشيخ الزان هو الرجل الكبير في السن الذي ابيض شعره ولحيته وضعف جسمه فهو لا يزني للشهوة بل للمعصية، فالرابط بين هؤلاء الثلاثة أنهم فعلوا ذنبًا لا يتعلق قلبهم به وداعي الشهوة لديهم ضعيف، فداعي الشهوة لدى الرجل الكبير في السن ضعيف جدًا لا يُقارن بداعي الشهوة لدى الشاب الأعزب.

النقطة العاشرة: استخفي بمعصيتك

إذا كان لا بد لك وأن تفعل المعصية، فلا تعلنها بل أخفِها واجعلها بينك وبين نفسك، وإذا بُليتم فاستتروا، واحذر من أن تُعلِنه للناس أو أن تصوره وتنشره، لا حفاظًا على صورتك أو كي تُظهر للناس أنك رجل صالح، بل حياءً من الله عز وجل وحياءً من خلقه، وألا تكون سبب في فتنة إنسان آخر، وأن تستخفي بمعصيتك هو أمر مهم جدًا لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: **(كل أمتي معافى إلا المجاهرين)** [1]فكل أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- يأتون يوم القيامة ببشارة النبي -عليه الصلاة والسلام- بأنهم سيعافون من تلك الذنوب إلا المجاهرين، فيوم القيامة حينما يكون الحساب ويأتى الله عز وجل لكل واحد منها ليحاسبنا حساب فردى، فيأتى هذا العبد إلى الله عز وجل فيرخى الله عز وجل عليه كنفه ويقرره بذنوبه كلها فى كل فقرة من حياته، فيقول: تَذْكر كذا، تذكر كذا، تذكر كذا، فيقول: نعم يا رب، نعم يا رب، نعم يا رب، فيقول النبى -عليه الصلاة والسلام- فى هذا الحديث : (حتى قرره بذنوبه، ورأى فى نفسه أنه هلك، قال الله -عز وجل- له: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم)[2]، فحين تُعلِن ذنوبك في الدنيا فأنت تفوت على نفسك هذا الستر وتكون قد هتكت ستر الله عليك وكأنك تقول لله عز وجل أنك لا تخجل من ذنبك! وهذا أمر مهم جدًا أن تضعه في الاعتبار في هذا الزمن الذي استُعلِنت فيه المعصية وانتشرت، وهو ليس بالأمر الهين أبدًا.

---

[1] رواه البخاري.

[2] رواه البخاري.

النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما حدث عما قبل يوم القيامة وتكلم عن الدجال **وتكلم عن الدابة وعن يأجوج ومأجوج ونزول المسيح، قال وتحصل ثلاثة خسوف خسف في المشرق وخسف في المغرب وخسف في جزيرة العرب** -وهذه من علامات الساعة- ففي الحديث الذي حدث فيه البخاري **عن عمران بن حصين والحديث موجود في الترمذي والشوكاني: يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- في آخر هذه الأمة خسف وقذف ومسخ ففي روايتين فقال أحدهم: يا رسول الله هي متى؟ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا ظهرت القيان والمعازف وشُربتْ الخمور)**[3]، والقيان هي الجارية المغنية يعني المرأة المغنية، والمقصود ليس ظهورها في البيوت أو في المناسبات المحدودة، بل ظهورها العام في المسارح وتصويرها وانتشارها، وضُربت المعازف وشُربت الخمور، فمتى ما أصبحت هذه الثلاثة أشياء موجودة فينظر الإنسان كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام- **(وقد ذكر في ذلك أمور كثيرة فحدث النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه ستفتح عليكم الدنيا كما فتحت على من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم) حينما قال: " فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم..[4]"**

وقالت زينب بنت جحش فقلت **يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» (5)فإذا كثر الخبث الصاعد إلى السماء يهلك الناس ويبعثون على نياتهم الصالح على نيته والفاسق على نيته**، فكما ذكرنا سابقًا أن ذنبك لا يعنيك فقط، فهناك جزاء جماعي، **ولذلك الاستعلان بالمعصية أولًا يضاعف الذنوب** فكل الذين شهدوا وأيدوا والذين سكتوا عن المعصية مذنبون، فكيف تسكت عن المعصية وأنت ترى محارم الله

[3] رواه ابن ماجه، قال الألباني: صحيح.

[4] رواه البخاري.

[5] رواه البخاري.

قد انتُهِكَت، إلا إن لم يكُن باستطاعتك شيء فأنكرتها بقلبك على الأقل، ولكن أن تنظر للمعصية وتراها أمرًا عاديًا فهذا أمر فيه خطورة، لذا استخفِ بمعصيتك ولا تستعلن بها.

النقطة الحادية عشر: لا تُزين المعصية لغيرك

إذا ابتلاك الله بذنب، فلا تزينه لغيرك، كأن تقول إحداهن لأخرى لمَ لا زلتِ ترتدين النقاب، أو لمَ لا ترفعين حجابك قليلًا لتظهر منابت شعرك فيبدو جميلًا، أو أن تنصح أحدهم بمتابعة فلم أو مسلسل، فيبدأ بتضييع وقته فيها بينما كان يقضي وقته في قراءة القرآن، **فهكذا تأخذ ذنبك وذنبه في كل مرة يشاهده فيها، لأننا أحيانًا نشعر بأن الذنب أخف عندما يفعله الكثير، ولكن الخطأ يبقى خطأ وإن فعله الجميع**، فهذا قوم لوط قُلِبَت عليهم القرية رغم أنهم كانوا مشتركين في المعصية جميعًا ما عدا لوط وفئة قليلة معه، فلم تنفعهم كثرتهم.

النقطة الثانية عشر: لا تكُن مُحترِفًا في معصيتك

إذا أردت أن تعصي فلا تكُن محترفًا في معصيتك، ولا تُكن مهنتك هي الذنب، قال سفيان بن عيينه: **(كان محمد بن سوقه لا يحسن أن يعصي الله)**، فكان من صفاته أنه لا يستطيع المعصية، تخيل أن أحدهم يملك صوت جميل فتطلب منه أن يتحدث بصوت قبيح، بالطبع لن يستطيع لأن هذه صفة فيه، وكذلك لو كان أحدهم يملك خطًا جميلًا، من الصعب عليه أن يُقبِّحه، هذا لأن من يُحسِن شيئًا يصعب عليه أن يعمله بطريقة غير جيدة، كالصادق عندما يكذب، فهو يجيد الصدق فإن كذب بان ذلك على وجهه، فهذا محمد بن سوقه كان لا يحسن أن يعصي الله عز وجل، **لذا لا تحترف المعصية وإن كانت هي سبب شهرتك فلا تفعلها ولا تحترفها**.

النقطة الثالثة عشر: كُن على وجل وخوف

إذا أردت أن تعصي الله فافعل ذلك على وجل وخوف منه تعالى، لا تدع إحساسك يموت، فترى البعض يقول إذًا كيف أفرح وأصبح سعيدًا بينما بداخلي إحساس بأن ما أفعله خطأ، فيكرهون هذا الشعور، بينما هو في الحقيقة دليل على أن القلب حي يخشى الله تعالى وهذا قد يكون سبب لرحمة الله ومغفرته، فيجب على الإنسان أن يحافظ على قلبه ويطمح لأن يترك المعاصي خوفًا من أن يقبض الله روحه وهو على معصية وألا يفعلها بعناد وجرأة على الله عز وجل، قال عمر بن ذر: **(يا أهل المعاصي لا تغتروا بحلم الله عليكم واحذروا أسفه فإنه قال: (فلما آسفونا انتقمنا منهم))**، فلما آسفونا أي: لما أغضبونا، فلما أغضبونا انتقم الله عز وجل منهم، الله يحلم على هؤلاء ويمهلهم في زمن الإمهال لكن إذا نزل أمر الله عز وجل فلا راد له.

النقطة الرابعة عشر: استَقبِح الذنب

إذا فعلت الذنب فاستقبحه، واشعر بأنه قبيح، **ففرق كبير بين من يفعل المعصية وهو مدرك لقبحها، ومن يفعلها وهو مستمتع ومستلذ**، كمن يقول لمَ حرَّمها الله علينا وهي غذاء للروح ومصدر للسعادة، لم هذا التشدد في الإسلام، **وهناك دراسة علمية تم نشرها في البي بي سي نيوز في جون هوسبتيل انفاكشن**، بعنوان: اللحية جيدة لصحة الرجل، المقال كان يتحدث عن العدوى في المستشفيات، ومن ضمن النقاط التي ذكرت هو موضوع اللحية، وقدم تم عمل الدراسة على ٤٠٨ رجل، وأخذ عينات منهم، والنتيجة كانت مفاجأة حيث وجدوا أن حليقي اللحى يحملون ثلاثة أضعاف ما يحمله الملتحون من البكتيريا المسببة للعدوى في المستشفيات لاسيما بكتيريا تسبب كثير من الأمراض المعدية وتستعصي على المضادات الحيوية، وبعد بحث الأسباب وجدوا أن هناك طبقة خفيفة يتم انتزاعها أثناء حلق اللحية وهي طبقة تهاجم البكتيريا،

لذا لو كان لدينا يقين بالله عز وجل لما ادعينا بعقولنا الصغيرة أن اللحية تحمل البكتيريا، فلا يمكن للرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يقول "أعفوا اللحى"[6] وفيها ضرر على الإنسان، لذا يجب أن تكون لدينا ثقة في ديننا فلا ننتظر إثبات أضرار الخنزير والخمور علميًا، فنكون موقنين بأن الله لم يحرمه إلا لأن فيه ضرر على الإنسان.

النقطة الخامسة عشر: حافظ على سلامة معتقدك وتوحيدك

المعاصي هي بريد الكفر، فلا يوجد إنسان يدخل للكفر مباشرة بل يستمر في الذنوب حتى يبقى في جدل ويشعر أن هذا الدين لا يناسبه، وأنه يريد أن يُذنِب دون أن يشعر بالذنب، شيئًا فشيئا حتى ينعدم إيمانه، **فإذا مشكلة المعاصي هي أنها بريد الكفر وقد يعتقد الإنسان بأنه يستطيع التوقف ولكن من الصعب عدم الانزلاق في هذه السلسلة**، فعندما يسقط الإنسان من جبل يحاول التشبث بحجر، ثم يسقط، ثم يحاول أن يتمسك مرة أخرى، وهكذا حتى يقع.

النقطة السادسة عشر: لا تُحِب العاصين

انتبه لقلبك أن يقع في حب العاصين وإن كنت منهم، بل أحب الطائعين ولو لم تكُن منهم، فعندما تحب إنسان تحسبه صالح لأعماله من صلاة وصيام وصدقة ولأنه يحثك ويعينك على عمل الخير، فهذه المحبة بحد ذاتها تكون عون لك يوم القيامة، فالمرء مع من أحب، ولذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام- للرجل الذي سأله عن ماذا قدّم للساعة فقال: **إني أحب الله ورسوله فقال له: (أنت مع من أحببت)**[7] قال أنس -رضي الله عنه-: (فو الله ما فرحنا بعد الإسلام بشيء فرحنا بهذه المقولة)، وهذا بسبب حبهم الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، فهم فرحون لمعرفتهم بأنهم سيحشرون معهم،

---

[6] رواه النسائي، قال الألباني: صحيح.

[7] رواه البخاري.

اذاً حاول أن تُعلّق قلبك بمن تتمنى أن يحشرك الله معهم، وهل ينفع الحشر مع الصالحين؟ فحين يتم سحبك إلى النار بذنوبك تبدأ الشفاعات، شفاعة الله عز وجل وشفاعة الأنبياء، وقبلها شفاعة المؤمنين في بعضهم البعض ولذلك قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **(ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون)**[8]، فحين يدخل المؤمنين الجنة لا ينسون أصحابهم، فلم تكُن تجمعهم الدنيا ومصالحها بل كان بينهم رباط الله عز وجل والحب في الله، **ولذا في يوم القيامة يسألون عن بعضهم البعض**، وإن كان من أصحابهم مُذنِب فهم لا يتركونه بل يقفون عند الجنة يحاجون يا رب يا رب إخواننا كانوا معنا يصومون كما نصوم ويصلون كما نصلي يا رب شفعنا فيهم، **فيقول الله عز وجل اذهبوا، ويُشفِّعهُم، فيشفعون فيهم** حتى قيل أنهم يذهبون إلى النار فيرون أقوامًا لا يعرفون فيهم إلا وجوههم - كأن يكونوا التقوا بهم في مجلس خير يومًا - فيُخرجونهم، **فتخيل أثر مشاعرك القلبية كيف يكون.**

كل هذه النقاط الستة عشر تعتمد على قلبك، على خوفك من الله تعالى واستقباحك للمعاصي، ألا تجعلها تتعداك أو تجهر بها وتعلنها، وألا تشترك فيها مع أحد، فإن حرصت على هذه النقاط ستكون أقرب لرحمة الله وهدايته ولذلك عبد الله بن شميت ينقل هذه الكلمة عن أبيه يقول: **(كان يقال من رضي بالفسق فهو من أهله ومن رضي أن يعصى الله عز وجل لم يرفع له عمل)**، فالذي يرضى أن يُعصى الله عز وجل كأن يقول دعهم يستمتعون ويفرحون وهم يعصون الله حتى لو لم يشاركهم، أو كأن نقول بما أنهم يذهبون للمعصية في الأماكن التي تتيحها لهم فلمَ لا نُتيح لهم المعاصي هنا، وهنا تتهدم القيم، لذلك فمن جرب الفسق أصبح من أهله، ومن رضي بأن يُعصى الله عز وجل لم تُرفَع أعماله.

[8] رواه مسلم.

فالمشاعر القلبية مهمة جدًا، فذاك لم يُذنِب وإنما رضي بالذنب، وتلك لم تفعل شيئًا ولكنها لم تستقبح الذنب، والمعاصي لا تقتصر على الإنسان وحده، **فقد سألت زينب رضي الله عنها :(أنهلك يا رسول الله وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث)**[9]، فإذا كثُر الخبث وأذنب كل واحد منا لوحده، وارتفعت ذنوبنا إلى السماء، نزلت العقوبة.

أسأل الله أن يجنبني وإياكم هذه المعاصي وأن يغفر لنا إياها ويعفو عنها وأن يباعد بيننا وبينها كما باعد بين المشرق والمغرب ..
هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

*تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها.

[9] رواه البخاري.